كلمة رئيس التّحرير

قراءة في كتاب العلم والعولمة

البروفسور كميل حبيب

على الرغم من شح موازنتها، وعبث أيادي الاحزاب الطائفية في ملفاتها، وتنامي فطريات المعاهد الخاصة، لا تزال الجامعة اللبنانية تتصدّر المشهدين التعليمي والثقافي. انها جامعة الوطن، والعمود الثاني في مناعته القومية، وجزء لا يتجزأ من نضالنا الوطني. لا تزال الجامعة واقفة برمح قلمها وترس معرفتها في وجه كل الأعاصير التي تعصف بلبنان. وهذه الرياح ما كانت لتدخل الى حجرة الجامعة لو ان من يدّعون الوطنية لم يشرعو الابواب لجامعاتهم الخاصة.

أهكذا تعامل جامعة الأذكياء؟ أهكذا يتم التعاطي مع جامعة ال ٥٠٠ الف خريج، رفعوا اسم لبنان وعلمه عالياً في بقاع الارض واصقاعها؟ أتفعلون بنا لأننا نعلم طلابنا ان لبنان وطن لجميع ابنائه، وبأن الطائفية نقمة، وبأن لا خلاص الا بدولة المواطنة، وبأن صراعنا مع الصهونية هو صراع وجودي؟

لا، والله، لقد اشتبهت الأمور على منظومة الطائف التي انتجت دولة ضعيفة وعصابة مجرمة بحق الوطن والانسان فيه. لا، والله، فهذه الجامعة باقية ما بقي الليل والنهار، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، ونحن شهود على ذلك.

وفي هذا السياق يبرز رأي في الكتاب للدكتور عبد الحليم فضل الله في مطالبته بمنح الأبحاث "الأولوية التي تستحقها، فدونها لا يمكن احداث اختراقات على المديين المتوسط والطويل، فالابحاث التطبيقية لا يمكن ان تستجيب للكوارث فور ظهورها الا اذا استندت الى خلفية قوية من المعارف النظرية ذات الصلة بها". يا ليتهم يفقهون!!

كتاب "العلم والعولمة"، يتخطّى الدراسات الرقمية الجافة الى طرح ابعاد فلسفية تطال العلوم الطبيعية والمعارف الانسانية والاجتماعية"، وانتهاءً بالتفاعل بين العلم التطبيقي والعولمة الذي ساهم في الانبثاق المدوي لمجتمع الاستهلاك".

يطرح الدكتور فضل الله العديد من الاشكاليات والتي لا بد من ذكر بعضها، استهلالاً لما قد يواجهه القارىء في قراءته الرصينة، الهادئة، والنقدية،

١- ما كان لأبعاد العولمة ان تحقق لولا استغلال الادوات التي اتاحها العلم "لأهل العولمة".

٢- عن دور الدين في توجيه حركة المجتمعات الانسانية، وتأثيره على مسار العلم في فترات طويلة من تاريخ المجتمعات الانسانية.
٣- قدرة العادات والتقاليد الاجتماعية في تمكين المجتمع من تحمل التبعات المؤلمة للكوارث.
٤- الاشتباك بين العولمة وسيادة الدول.
٥- المقاربة بين الثورات السياسية والثورات العلمية: تبرز الأولى نتيجة فشل المؤسسات عن ايجاد الحلول لمشكلات الناس، بينما تبرز الثانية في عدم قدرتها في الكشف عن نواحي عمل الطبيعة.
٦- دور العولمة في جعل البشرية رهينة التطور المادي المتجسد في الظواهر الطبيعية ليكون عالم الخالق بذلك مجرد جزء من عالم المادة.

هذه الاشكاليات التي تصدّى لها الدكتور فضل الله بمعرفة المؤمن، جاءت مسهلة لطرح آراءه غير القطعية والتفاؤلية الى حدّ كبير. وتبعاً لرأي المؤلف، فإن:
١- العولمة النيولبرالية كارثية النتائج فيما يخص الظلم الاجتماعي وعدم العدالة.
٢- النماذج الجديدة للسلطة مسؤولة عن جعل الفضائين السياسي والاجتماعي متطابقين الى أبعد الحدود. ولم يكن هذا ممكناً لولا هيمنة التكنولوجيا على المجتمع، أي سيطرة المادة على المعرفة القيمية التي هي اساس النسيج والتفاعل الاجتماعي.
٣- السلطة تتلاعب بالعلوم الانسانية لتكون جزءاً من اجهزة الترويض والقمع والاقناع.
٤- نحن بحاجة الى نهضة معرفية موازية او حتى مقابلة للثورات التكنولوجية، لكبح جماحها ولإعادة العلوم النظرية والأبحاث الاساس الى المنصة الرئيسية للمجتمعات.
٥- هل ينبغي ان تبنى قيم الاقتصاد والعلم والثقافة على اساس الاخلاق، ام ان الاخلاق وقيمها يستندان الى معطيات العلم والاقتصاد؟
٦- هل حسم العلم الترابط السلبي بأي اتجاه كان بين النمو والمساواة والفقر؟، أي هل حسم العلم العلاقة بين الأمن والعدالة والرفاهية؟

للدكتور فضل الله عدّة اقتراحات لحل بعض الاشكاليات الانفة الذكر، منها:
١- العمل على التوفيق بين العلوم النظرية الصرفة والعلوم الفقهية المقابلة بعد تجديدها.
٢- لا يدعو المؤلف الى اسلمة المعرفة، بل نبه الى انها تعني قطيعتين نسبيتين: قطيعة مع العقل التراثي وقطيعة مع العقل العلمي المعاصر.
٣- ان رحلة الخروج من الأزمة تبدأ بإعطاء قيمة متساوية للعلوم وثقافتها المتعددة، وتعميق التكامل، وتفعيل الضبط المتبادل في ما بينها، وانتزاع زمام القيادة من يد التكنولوجيا المحكومة لمجتمع الاستهلاك او المنشأة له.

وانسجاماً مع ما تقدّم، وبالنسبة الينا كعرب، تبرز العولمة بعودها المتكسرة في سياق نقيضين:

١- موقف الرفض المطلق، وسلاحه الانغلاق الكلي، وما يتبع ذلك من حروب وكوارث.
٢- وموقف القبول التام للعولمة، وما تمارسه من اختراق ثقافي واستتباع حضاري.

ولا مفر من تصنيف هذين الموقفين ضمن المواقف اللاتاريخية، لا يرى صاحبه مخرجاً الا بالهروب، اما الى الوراء واما الى الامام.

١- فالانغلاق موقف سلبي غير فاعل، ينقلب الى موت بطيء، ومحكوم عليه بالاخفاق.
٢- وتماماً كالانغلاق، هناك بالمقابل الاغتراب، اي ثقافة الارتماء في احضان العولمة والاندماج فيها, انها ثقافة تنطلق من الفراغ، اي من اللاهوية، وبالتالي، فهي لا تستطيع ان تبني هوية ولا كياناً.

ان الجواب العربي عن سؤال مواجهة العولمة يجب ان ينطلق من العمل داخل الثقافة العربية نفسها. وهذا يعني تجديد الفكر العربي على قواعد العقلانية، في اطار مقاصد الدين، واولها انسانية الانسان. فالتجديد في الفكر العربي ملازم لتطور المجتمع وتقدّم الحياة العصرية، وضروورة لمواكبة المتغيرات العالمية على الصعد كافة. ان الانعزال عن المجريات العالمية امر باهظ الاثمان على العالم الاسلامي، بما فيه من دول وشعوب، وهو نوع من التخلي عن الاضطلاع بالمسؤولية العالمية.